النصوص المسيحية

في العصور الأولى

القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد

الدفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى

النصوص المسيحية

في العصور الأولى

القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد

الدفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى

تتقدم دار باناريون بالشكر والامتنان للأباء والأخوة الأحباء
الذين ساهموا في تكلفة إصدار هذا الكتاب

تُصدر دار باناريون للنشر والتوزيع سلسلة
"النصوص المسيحية في العصور الأولى"
من خلال هيئة علمية أكاديمية تحت إشراف
دكتور جوزيف موريس فلتس

الكتاب:	القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد الدفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى
الترجمة:	الأستاذة آمال فؤاد
المراجعة:	مجموعة من المراجعين
الناشر:	دار باناريون – ٤٧ شارع كليوباترا، ميدان صلاح الدين مصر الجديدة. ت : ٢٤١٤٣١٠٦ / ٠٢ موبايل : ١٣٥ ٥٠٥٠ ١١١ (٠٠٢٠)
الطبعة:	الأولى مايو ٢٠١٢م
رقم الإيداع:	٢١٠٢/١١٠٣٥
الترقيم الدولي:	978-977-6363-02-1

أخلى ذاته من المجد في مجيئه الأول، هكذا أيضًا ظهر إيليا في مجيئه الأول بغير مجدٍ وهو الذي فيه كان الروح طاهرًا[٧٧]. ويُقال إن الرب سيحارب عماليق بيد خفية، وعليكم الإعتراف بأن عماليق قد سقط. ولكن إن كانت الحرب سوف تشن ضد عماليق عند المجيء الثاني للمسيح في مجده فكيف يتوافق هذا مع كلام الكتاب "الله يحارب عماليق بيد خفية"[٧٨]؟ أنتم ترون إذن أن قوة الله الخفية كانت في المسيح المصلوب الذي أمامه ترتعد الشياطين وكل القوات والسلطات على الأرض."

الفصل الخمسون

قال تريفون: "يبدو أنك تناقشت مع أشخاص كثيرين في جميع الموضوعات وبالتالي فأنت على استعداد لإجابة أي سؤال من أسئلتي. قُل لي أولًا، كيف تقدر أن تثبت أنه يوجد إله آخر إلى جانب خالق العالم وأنه تنازل ليُولَد من عذراء؟"

قلت: "اسمح لي أولًا أن أذكر بعض النصوص من سفر إشعيا عن يوحنا المعمدان الذي كان أيضا نبيًّا والذي كان المُبشِر بربنا يسوع المسيح."

قال: "تفضل."

قلت: "ها هي نبواءت إشعيا عن يوحنا كسابق للمسيح: "فقال حزقيا لإشعيا جيد هو قول الرب الذي تكلمتَ به، فإنه يكون سلام وأمان في أيامي. عزوا شعبي. أيها الكهنة طيِّبوا قلب أورشليم وعزوها فإن اتضاعها قد كثر. إن خطيتها قد عُفي عنها فإنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها. صوت صارخٍ في البرية أعدوا طرق

---

[٧٧] المقصود أن شخص إيليا لم ينقسم عندما انتقل الروح القدس الذي كان حالًا فيه إلى يوحنا.
[٧٨] خر ١٧: ١٦.

الفصل الرابع والخمسون

"إن كلمات يعقوب النبوية التي سجلها موسى "يغسل بالخمر رداءه وبدم العنقود ثوبه" (تك ٤٩: ١١) تشير إلى أنه سيغسل بدمه كل الذين يؤمنون به. لأن الروح القدس يدعو الذين غفر المسيح خطاياهم "ثوبه"، فهو حاضر بينهم على الدوام بقوته ويحضر معهم بشخصه في مجيئه الثاني. وعبارة "دم العنقود" تشير مجازيًّا إلى أن دم المسيح ليس من زرع بشر بل مِن قوَّة الله. فكما أن الله وليس الإنسان هو الذي صنع دم الكرمة فهكذا تنبأ [الكتاب] أن دم المسيح لن يكون من زرع بشر بل من قوة الله. إن هذه النبوءة التي ذكرتها أيها السادة تثبت أن المسيح ليس إنسانًا [عاديًّا] من نسل بشري وليس مولودًا بالطريقة البشرية المعتادة."

الفصل الخامس والخمسون

قال ترفون: "سنتذكَّر تفسيرك هذا إذا استطعت أن تثبت كلامك بإثباتات أخرى. أما الآن فلنعُد إلى موضوعنا الأصلي لتثبت لنا ما إذا كان روح النبوة قد قال في أي وقت بوجود إله آخر إلى جانب الله خالق جميع الأشياء. واحذر من أن تذكر الشمس والقمر التي تقول لنا الكتب أن الله ترك الأمم يعبدوها كآلهة[٨٠]. وكثيرًا ما استخدم الأنبياء هذه الطريقة في السرد مثلما قيل: "الرب إلهك هو إله الآلهة و رب الأرباب" وكثيرًا ما كانوا يضيفون "العظيم والجبار والمهوب"[٨١]. فإن استخدام هذا التعبير لا يعني أنه حقًّا توجد آلهة أخرى بل أن الإله الحقيقي خالق الكل هو وحده رب كل الذين يُعتبرَون

---

[٨٠] ربما يقوم اليهود بتفسير هذه الآية (تث ٤: ١٩) بهذه الطريقة، ولكن ق. يوستينوس يثبت من خلال كلمات الأنبياء أن الله وحده هو من تجب عبادته.

[٨١] تث ١٠: ١٧.

خطأً آلهة أو أربابًا. ولكي يقنعنا الروح القدس بهذا يقول بفم داود إن "آلهة الأمم أصنام شياطين"[٨٢] وليست آلهة، كما أنه يلعن هؤلاء الذين يصنعون أو يعبدون هذه الأصنام."

قلت: "يا تريفون، هذه ليست الإثباتات التي كنت سأقدِّمها لأنني أعلم أن مَن يعبدون هذه الأشياء يدانون بعدل، ولكنني مستعد أن أقدم براهين لا يمكن لأحد أن ينقاضها، وقد تبدو غير مألوفة لكم رغم أنكم تقرأونها كل يوم. ولذا نحن نفهم أن الله - بسبب خطاياكم - أخفى عنكم القدرة على فهم الحكمة في كلامه ما عدا قلة منكم حفظهم بعظيم رحمته بذرةً للخلاص كما قال إشعيا لئلا يهلك شعبكم تمامًا مِن هذه الأرض كما كان الحال مع شعب سدوم وعمورة. استمعوا إذن لهذه النصوص الكتابية التي لا تحتاج إلى تفسير بل فقط إلى استماع."

الفصل السادس والخمسون

"يقول لنا موسى خادم الله الأمين والمبارك إن مَن ظهر لإبراهيم عند بلوطات ممرا هو الله الذي أُرسِل بصحبة ملاكين ليدين سدوم من قِبل آخر، [وهذا الآخر] هو مَن يسكن في سماء السماوات والذي لم يره ولم يتحدث معه إنسان قط والذي ندعوه الآب خالق الكل. وها هي ذي كلمات موسى: "وظهر له الله عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت الظُهر. فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض وقال ..."[٨٣] إلى أن تصل لهذه الكلمات: "وبكَّر إبراهيم في الغد إلى

---

[٨٢] انظر مز ٩٥: ٥ (في البيروتية مز ٩٦: ٥) وكلمة δαίμων التي كان اليونانيون يقصدون بها إلهًا أو وثنًا كان المسيحيون يقصدون بها شيطانًا وكان هذا يتفق مع الفكر السائد بأن الأوثان تسكنها شياطين.

[٨٣] تك ١٨: ١ - ٢.

المكان الذي وقف فيه أمام الرب وتطلع نحو سدوم وعمورة ونحو كل أرض الدائرة ونظر وإذا دخان يصعد مِن الأرض كدخان الأتون"[٨٤]."

وهنا سألتهم إذا كانوا قد فهموا هذا النص فأجابوا أنهم يعرفون معنى الكلام ولكن لا يجدون فيه ما يثبت أنه يوجد إلى جانب خالق العالم أي إله أو رب آخر يذكره الروح القدس.

قلت: "إذن بما أنكم تفهمون هذه النصوص من الكتاب المقدس، سأحاول إثبات ما أقوله، أي أنه يوجد إله و رب آخر تحت الله خالق كل الأشياء[٨٥] كما هو مذكور في الكتاب المقدس، وهو يُسمَّى أيضًا ملاكًا[٨٦] لأنه يعلن للإنسان كل ما يريد خالق الكل ـ الذي لا يوجد إله آخر فوقه ـ أن يعلنه لهم."

وبعد أن أعدت ذكر النصوص السابقة سألت تريفون ما إذا كان يؤمن أن الله ظهر لإبراهيم تحت بلوطات ممرا كما يقول الكتاب.

قال: "نعم، بالتأكيد."

قلت: "هل كان هو أحد الثلاثة الذين يقول روح النبوة إن إبراهيم رآهم كرجال؟"

قال تريفون: "لا، بل الله ظهر له قبل أن يرى ثلاثة الرجال. وهؤلاء الثلاثة الذين يقول عنهم الكتاب رجالاً هم ملائكة. وكان الله قد كلف اثنين منهم لإهلاك سدوم في حين أرسل الثالث لإبلاغ سارة بأنه سيكون لها ابن وقد انصرف بعد انتهاء مهمته."

قلت: "كيف تفسِّر إذن قول واحد من الثلاثة، الذي كان في

---

[٨٤] تك ١٩: ٢٧ ـ ٢٨.

[٨٥] تعبير "إله آخر" هنا، ليس المقصود به وجود إلهين، بل الحديث عن أقنوم الكلمة وتعبير "تحت الله خالق كل الأشياء" إنما يعني "الذي به خلق الأب كل شيء". والجدير بالذكر أن هذه تعبيرات هي تعبيرات بدائية عن عقيدة الثالوث التي عبَّرت عنها الكنيسة فيما بعد بتعبيرات أدق وأوضح.

[٨٦] انظر الدفاع الأول، فصل ٦٣، حاشية ١٧٢.

الخيمة، "إني أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة إمرأتك ابن[٨٧]" وأنه رجع بالفعل بعد أن ولدت سارة ابنًا؟ أ لم تؤكد النبوءة أنه الله؟ ولاستبيان حقيقة كلامي بشكل أوضح، استمع لكلمات موسى الواضحة: "ورأت سارة ابن هاجر الجارية المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح مع اسحق ابنها فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق. فقبح الكلام جدًّا في عين إبراهيم لسبب ابنه. فقال الله لإبراهيم لا يقبح في عينك من أجل الغلام والجارية، فاسمع لسارة في كل ما قالته لك، لأنه بإسحق يدعى لك نسل"[٨٨]. أ لا ترى إذن أن الذي وعد تحت البلّوطة أنه سيعود قد عاد بالفعل حسب الكتب لأنه كان يعلَم أن إبراهيم سيحتاج إلى مشورة ليفعل ما تريده سارة، وأنه هو الله كما تشير هذه الكلمات: "فقال الله لإبراهيم: لا يقبح في عينيك من أجل الغلام والجارية"؟ (تك ٢١: ١٢)"

قال تريفون: "هذا صحيح، ولكنك لم تثبت بعد أنه يوجد إله إلى جانب الله[٨٩] الذي ظهر لإبراهيم والآخرين من البطاركة والأنبياء. كل ما أثبتَّه هو أننا كنا مخطئين في قولنا أن الثلاثة الذين كانوا في الخيمة مع إبراهيم هم جميعًا ملائكة."

قلت: "إذا كنت لم أستطِع أن أثبت لكم من الكتاب المقدس أن أحد هؤلاء الثلاثة هو الله وهو أيضًا يُدعى ملاكًا - أي مُعلِن لأنه قد أعلن ما أراد خالق الكل أن يعلنه كما سبق أن قلت - وأن هذا الذي ظهر لإبراهيم على الأرض في شكل رجُل مع الملاكين هو بالحقيقة

---

[٨٧] تك ١٨: ١٠.

[٨٨] تك ٢١: ٩ - ١٢.

[٨٩] رد تريفون هنا يُظهِر أن مفهوم الثالوث وتمايز الأقانيم لم يكونا واضحين بالنسبة للعقلية اليهودية التي يعبِّر عنها تريفون، رغم الإعلانات الواضحة عن هذه العقيدة في نصوص كثيرة من العهد القديم. راجع أيضًا عب ١: ١، ٢.

الله الكائن قبل كل الخليقة، هل من المنطق أن تتمسكوا بما يعتقده عامة شعبكم؟"

قال: "بلا شك، لأن هذا هو إيماننا حتى الآن."

قلت: "دعنا نعود إلى الكتاب المقدس، وسأحاول إقناعك أن الذي قيل إنه ظهر لإبراهيم ويعقوب وموسى ويُدعى إلهًا، هو يتمايز عن الله خالق الكل، وذلك من جهة العدد وليس من جهة الإرادة. وإنني أقرُّ أنه لم يفعل شيئًا أو يقول شيئًا قط بخلاف ما يريد أن يفعله أو يقوله خالق الكون الذي لا يعلو عليه أي إله آخر."

قال ترفون: "أثبِتْ لي أنه موجود حتى نتفق معًا على هذا لأنك تنفي أنه يفعل أو يقول شيئًا مخالفًا لإرادة خالق الكل."

قلت: "النصوص الكتابية التي ذكرتها ستوضح لك هذا. ها هي ذي الكلمات: "وأشرقت الشمس على الأرض ودخل لوط إلى صوغر، فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من عند الرب من السماء وقلَبَ تلك المدن وكل الدائرة" (تك ١٩: ٢٣ - ٢٥)."

وتكلَّم الصديق الرابع لترفون وهو الذي ظل معه قائلًا: "لا بد إذن من الاعتراف بأن أحد الملاكين اللذين نزلا إلى سدوم، والذي يسميه موسى في الكتاب ربًّا، يختلف عن الأول - الذي هو الله - الذي ظهر لإبراهيم."

قلت: "علينا أن نعترف بأنه بالإضافة إلى خالق الكل يوجد آخر يسميه الروح القدس ربًّا، ليس بسبب هذا النص فقط. وليس لأن هذا هو ما شهد به موسى فقط، بل أيضًا داود عندما قال: "قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك"[٩٠] وفي موضع آخر يقول: "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب مُلْكِك. أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله

---

[٩٠] مز ١٠٩: ١ (في البيروتية مز ١١٠: ١).

إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك"[٩١]. أجيبوني هل الروح القدس في رأيكم يدعو إلهًا وربًّا غير الآب ومسيحه، فقد أخذت على عاتقي أن أثبت لكم من الكتب المقدسة نفسها أن المدعو ربًّا ليس أحد الملاكَيْن اللذين نزلا إلى سدوم بل ذاك الذي رافقهم والذي دُعي إلهًا وتراءى لإبراهيم."

قال تريفون: "أسرِع وقدِّم الإثبات إذن لأن الوقت قد مضى كما ترى ونحن لسنا مستعدين لإعطاء إجابات متسرعة لأننا لم نسمع أحدًا قط يبحث ويستقصي ويشرح هذه الأمور. وفي الواقع لم نكن لنسمع لك حتى الآن لو لم تكن على الدوام تأتي بشواهد من الكتاب المقدس لإثبات وجهه نظرك ولو لم تقل إنه لا يوجد إله يعلو على خالق العالم."

قلت: "أنتم بالتأكيد تعرفون أن الكتاب يقول: "فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة: أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت؟ هل يستحيل على الرب شيء؟ في هذا الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن" (تك ١٨: ١٣ - ١٤). ونقرأ بعد قليل: "ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم وعمورة وكان إبراهيم ماشيًا معهم ليشيعهم. فقال الرب هل أخفي عن إبراهيم عبدي ما أنا فاعله؟" (تك ١٨: ١٦ - ١٧) وأيضًا: "قال الرب صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جدًّا. أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخهم الآتي إليَّ أم لا كي أعلَم. وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم وأما إبراهيم فكان واقفًا أمام الرب. فاقترب إبراهيم وقال أ فتهلك البار مع الأثيم؟" (تك ١٨: ٢٠ - ٢٣). (إلى آخر هذه الآيات، فأنا لا أرى أنه من الضروري أن أكرر الكلام الذي كتبته قبلًا بل سأذكر فقط الإثباتات المهمة التي قلتها لتريفون وأصدقائه).

---

[٩١] مز ٤٤: ٧ - ٨ (في البيروتية مز ٤٥: ٦ - ٧).

ثم وصلت إلى الكلمات التالية من الكتاب المقدس: "وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم إلى مكانه. فجاء الملاكان إلى سدوم مساءً وكان لوط جالسًا عند باب سدوم" (تك ١٨: ٣٣ ؛ ١٩: ١). وما يلي ذلك حتى: "فمد الرجلان أيديهما وأدخلا لوطًا إليهما إلى البيت وأغلقا الباب" (تك ١٩: ١٠) وما يليها حتى: "أمسك الرَّجُلان بيده وبيد امرأته وبأيدي ابنتيه لشفقة الرب عليه. وكان لما أخرجاهم إلى خارج أنهم قالوا نجِّ، نجِّ نفسك. لا تلتفت إلى ورائك ولا تقف في كل الدائرة. اهرب إلى الجبل لئلا تهلك. فقال لهما لوط: أرجوك، يا سيد، هوذا عبدك وجد نعمة في عينك وعظَّمتَ لطفك الذي صنعت إليَّ باستحياء نفسي. أمَّا أنا فلا أقدر أن أهرب إلى الجبل. لعل شرًّا يدركني فأموت. هوذا المدينة الصغيرة هذه قريبة للهرب إليها، أهربُ إلى هناك فإنها صغيرة فتحيا نفسي. فقال له إنني قد رفعت وجهك في هذا الأمر أيضًا أن لا أقلب المدينة التي تكلمتَ عنها أسرع وأهرب إلى هناك لأنني لن أستطيع أن أفعل شيئًا حتى تدخل إلى هناك. لذلك دُعيَ اسم المدينة صوغر. وإذ أشرقت الشمس دخل لوط إلى صوغر فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من عند الرب من السماء. وقلَبَ تلك المدن وكل الدائرة" (تك ١٩: ١٦ - ٢٦).“

حينئذ سألتهم: ”أ لا ترون، يا أصدقائي، أن واحدًا من الثلاثة هو إله و رب وسفير لمن هو في السماء وهو رب الملاكين؟ لأنهما عندما ذهبا إلى سدوم، مكث هو [الرب] ليتحدث مع إبراهيم كما ذكر موسى. ثم انصرف بعد أن فرغ من الحديث ورجع إبراهيم إلى مكانه. وعندما جاء إلى سدوم لم يكن هناك الملاكان بل الرب هو الذي تكلَّم مع لوط كما يتضح من نص الكتاب. إنه هو بالفعل الرب الذي كُلِّف من الرب الذي في السماء - أي الله خالق الكل - بإنزال

هذه العقوبة على سدوم وعمورة كما يقول الكتاب: "أمطر الرب على سدوم وعموره كبريتًا ونارًا من عند الرب من السماء" (تك ١٩: ٢٤)."

الفصل السابع والخمسون

وبعد أن انتهيت مِن الكلام اعترف تريفون قائلا: "الكتاب المقدس يضطرنا لأن نتفق معك، ولكنك لا بد أن تبرر حيرتنا إزاء القول بأن الرب أكل الطعام الذي أعده وقدمه له إبراهيم."

قلت: "إنه مكتوب بالفعل أنهم أكلوا. ولكن قيل إن الثلاثة أكلوا وليس الاثنين فقط اللذين كانا ملاكين وطعامهم في السماء ليس الطعام نفسه الذي يأكله البشر، لأن الكتاب يقول عن المن الذي أكلَه آباؤكم في البرية أنهم "أكلوا طعام الملائكة"[٩٢]، وعندما يؤكد الكتاب أنهم أكلوا فإننا نفهم هذا التعبير كما نفهم القول بأن النيران تلتهم كل شيء لا بمعنى أنهم أكلوا بمضغ الطعام بالأسنان والفك. ولذا لا يوجد ما يُحيِّر إذا كانت لنا معرفة - ولو قليلة - باستخدام أساليب التعبير المجازي."

قال تريفون: "إن تفسيرك لطريقة الأكل قد يحل اللغز بشأن ضيوف إبراهيم الذين قيل إنهم أكلوا الطعام المُقدَّم لهم. والآن واصل حديثك لإثبات أن اللّه هذا الذي ظهر لإبراهيم، والذي هو في خدمة خالق الكون، قد وُلِد من عذراء وصار إنسانًا - كما تدَّعي - وتألَّم مثل البشر."

قلت: "قبل أن أقدم الدليل الذي تريدونه، اسمحوا لى أن أذكر شواهد أخرى عن موضوع مناقشتنا لعلكم تقتنعون."

قال: "تفضَّل، فهذا يروق لي."

---

[٩٢] انظر مز ٧٧: ٢٥ (في البيروتية مز ٧٨: ٢٥)

الفصل الثاني والستّون

وقلت: "يا أصدقائي، قال الله بفم موسى هذا الكلام ذاته عندما أعلن لنا أنه حين خلق الله الإنسان قال: "فلنخلق الإنسان على صورتنا وشبهنا فيتسلَّطون على سمك البحر وطيور السماء والبهائم، على جميع الدبابات التي تدب على الأرض. فخلق الله الإنسان، على صورة الله خلقه ذكرًا وأنثى خلقهم وباركهم الله قائلًا أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها" (تك ١: ٢٦ - ٢٨). ولئلا يخطئوا في تفسير هذه الكلمات بترديد ما يقوله معلموكم الذين يقولون إنه إما أن الله قال لنفسه: "نعمل الإنسان" كما نقول نحن أحيانًا لأنفسنا: "لنعمل"، أو أن الله قال: "نعمل" لعناصر الطبيعة أي للأرض أو المواد المختلفة التي نعتقد أن الإنسان قد تكوَّن منها. وهنا أود أن أذكر ما قاله موسى لقطع الشك باليقين، أن الله كان يتكلّم مع شخص له عقل، ويختلف عنه من جهة العدد. وها هي ذي كلمات موسى: "وقال الرب الإله هوذا آدم قد صار كواحد منا عارفًا الخير والشر" (تك ٣: ٢٢) إن عبارة "كواحد منا" تشير بوضوح إلى أنهم عدد من الأشخاص معًا أوعلى الأقل أنهم اثنان. وأنا لا أقبل بالبدعة التي يُقال بإنها عندكم والتي تقول بإن هذه الكلمات كانت موجهة إلى الملائكة، أو إن الجسم البشري هو مِن عمل ملائكة. لكن هذا المولود الحقيقي من الآب، كان مع الآب قبل كل الخليقة وتكلَّم معه الآب كما يذكر الكتاب المقدس بفم سليمان الذي يقول إن هذا الابن أو الحكمة كما يدعوه سليمان قد وُلِد كبداءة وكمولود مِن الله قبل كل أعماله. وقد شهد الله لهذه الحقيقة عند ظهوره ليشوع بن نون. ولتقتنعوا تمامًا، استمعوا لهذه الكلمات من سفر يشوع: "وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر وإذا برجل

بالحق. لتحمل الجبال سلامًا للشعب والآكام برًّا. يقضي لمساكين الشعب يُخلِّص بني البائسين ويُذل الظالم. يدوم كالشمس وقُدَّام القمر إلى جيل الأجيال"[١٠٤] والبقية حتى هذه الكلمات: "يدوم اسمه قُدَّام الشمس وتتبارك به كل قبائل الأرض، كل الأمم يطوبونه. مُبارَك الرب إله إسرائيل الصانع العجائب وحده. مبارك اسم مجده إلى الأبد ولتمتلئ الأرض كلها من مجده. آمين آمين"[١٠٥] وتذكَّر أيضًا أنه مِن كلمات أخرى لداود ذكرتها من قبل يمكن إثبات أنه سيأتي من أعلى السماوات وسيصعد ثانية إلى هناك حتى تعلَم أنه أتى كإله من الأعالي وصار إنسانًا وعاش في وسط الناس وسوف يعود إلى الأرض في يوم ما، حينئذ سينظر ويبكي الذين طعنوه. وها هي ذي الكلمات: "السماوات تحدِّث بمجد الله والفَلَك يُخبِر بعمل يديه. يوم إلى يوم يُبدي قولاً وليل إلى ليل يُظهِر علمًا. لا قول ولا كلام. الذين لا تُسمَع أصواتهم في كل الأرض خرج منطقهم. وإلى أقصاء المسكونة خرَجَت أقوالهم. جعل في الشمس مظلته. مثل العريس الخارج مِن خدره. يتهلل مثل الجبار الذي يسرع في طريقه. مِن أقصى السماء خروجها، ومنتهاها إلى أقصى السماء ولا شيء يختفي مِن حرارتها[١٠٦]." "

الفصل الخامس والستّون

قال تريفون: "أنا في حيرة مِن هذه النصوص الكثيرة مِن الكتاب المقدس ولست أعرف كيف أفسر تلك الفقرة من إشعيا حيث يقول الله إنه لا يعطي مجده لآخر: "أنا الرب الإله هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر" (إش ٤٢: ٨)."

قلت: "لو أنك، يا تريفون، ذكرت هذه الفقرة بأمانة وبدون خبث

---

[١٠٤] مز ٧١: ١ - ٥ (في البيروتية مز ٧٢: ١ - ٥).
[١٠٥] مز ٧١: ١٧ - ١٩ (في البيروتية مز ٧٢: ١٧ - ١٩).
[١٠٦] مز ١٨: ١ - ٦ (في البيروتية مز ١٩: ١ - ٦).

وتوقَّفت قبل أن تذكر الكلمات التي قبلها وبعدها لكان لك عذر. ولكن للأسف أنت تخطئ إذا كنت تقول هذا أملاً في إحراجي لكي أعترف أن بعض النصوص في الكتاب المقدس تناقض بعضها البعض؛ إلّا إنني لن أتجاسر أن أقول أو أتخيل هذا الأمر. إذا كان مثل هذا النص يبدو مُناقضًا لنص آخر ـ وأنا واثق تماما بأنه لا يوجد تناقض بين نصوص الكتاب المقدس وبعضها ـ كنت بالأحرى أعترف بصراحة أنني لا أعرف معنى النص، وأحاول قدر استطاعتي أن يشاركني الرأى هؤلاء الذين يظنون أن الأسفار المقدسة بها تناقضات. إن الله وحده يعلم لماذا أثرتَ هذه المسألة الأخيرة ولكن سأعيد على مسمعك النص كما هو بالضبط لكي ترى أن الله يعطي مجده هذا لمسيحه فقط. وسأضيف، يا سادة، بعض الكلمات من النص الذي ذكره تريفون وما يليه مباشرة. وهذه الكلمات ليست من إصحاح آخر بل من النص ذاته ولذا أطلب منكم التأمل فيها: "هكذا يقول الرب الإله خالق السماوات وناشرها، باسط الأرض وما فيها، مُعطي الشعب الذي عليها نسمة والماشين عليها روحًا: أنا الرب الإله قد دعَوتُك بالبر فأمسك بيدك وأقويك وأجعلك عهدًا للشعب ونورًا للأمم لتفتح عيون العُمي وتُخرِج المأسورين مِن القيود والجالسين في الظلمة مِن بيت السجن. أنا الرب الإله هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات. هوذا الأوْلَيَات قد أتت والحديثات أنا مُخبِر بها. قبل أن تنبُت أُعلِمكم بها. سبِّحوا للرب تسبحة جديدة بدايتها مِن أقصى الأرض. أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكَّانها لتفرح البريَّة ومدنها ومساكنها وليفرح سكَّان قيدار. ليهتف سكَّان صخرة على أعالي الجبال. ليعطوا الرب مجدًا ويُخبِروا بتسبيحه في الجزائر. الرب إله القوات يخرُج يسحق الحرب ويُنهِض غيرة. يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه" (إش ٤٢: ٥ - ١٣)."

ثم استطردتُ: "أ لا ترون أن الله يؤكد أنه سيعطي مجده للذي عيَّنه وحده ليكون نورًا للأمم، وليس كما يدَّعي تريفون أنه سيحتفظ بمجده لذاته فقط؟"

قال تريفون: "سوف نرى ذلك والآن أكمل كلامك في الموضوع."

الفصل السادس والستّون

فبدأت كلامي مِن حيث توقفت؛ إذ كنت أُثبِت لهم أن المسيح وُلِد مِن عذراء وأن إشعيا قد تنبَّأ بذلك، وكررت لهم كلمات النبوءة كما وردت: "ثم عاد الرب فكلَّم آحاز قائلًا: اطلب لنفسك آية من الرب إلهك، عمِّق طلبك أو ارفعه إلى فوق. فقال آحاز: لا أطلب ولا أجرِّب الرب. فقال إشعيا: اسمعوا يا بيت داود هل هو قليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا الرب أيضًا؟ لذلك يعطيكم السيد ذاته آية. هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا، ويدعون اسمه عمانوئيل. زبدًا وعسلاً يأكل قبل أن يعرف أن يرفض الشر ويختار الخير. لأنه قبل أن يَعرف الصبي الخير والشر هو يرفض الشر ليختار الخير، وتؤخذ قوة دمشق وغنائم السامرة أمام ملك أشور وتُخلى الأرض التي أنت خائف من ملكَيْها. يجلب الرب عليك وعلى شعبك وبيت أبيك أيامًا لم تأتِ منذ يوم اعتزال إفرايم عن يهوذا أي ملك أشور" (إش ٧: ١٠ - ١٧)."

وأضفت قائلًا: "الكل يعرف أنه مِن بين جميع نسل إبراهيم بالجسد لم يُولَد أحد من عذراء قط، أو حتى ادَّعى أنه وُلِد هكذا، سوى مسيحنا."

الفصل السابع والستّون

فقال تريفون معترضًا: "إن النص ليس "هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا"، بل "هوذا الشابة تحبل وتلد ابنًا" إلى آخر النص كما ذكرته،

الفصل الثامن والستّون

قال تريفون: "إنك تحاول أن تُثبِت ما هو غير معقول وغير قابل للتصديق، وهو أن الله تنازل لكي يُولَد ويصير إنسانًا."

قلت: "لو أنني حاولت أن أُثبِت هذا فقط مِن تعاليم الناس لكنتم على حق في عدم الاستماع. ولكنني ألجأ دائمًا لنصوص كثيرة مِن الكتاب المقدس لأُثبِت ما أريده وأتوسل إليكم أن تفهموا هذه النصوص، إلا أن عنادكم يمنعكم مِن معرفة تدبير الله وإرادته. وإذا كنتم ترفضون التغيير فلن يضيرني شيء، ولكن لأنني متمسك بمعتقداتي فسوف أمضي في طريقي."

قال تريفون معترضًا: "يا صديقي، تذكَّر أنك قد أُعطيتَ أن تفهم هذه الحقائق بعد تعب وعناء. وبالتالي يجب علينا نحن أيضًا أن نفحص بتدقيق شديد كل ما يقابلنا قبل أن نوافق على ما تقوله الأسفار المقدسة."

قلت: "أنا لا أسألكم أن تمتنعوا عن الفحص الدقيق لكل نقطة في مناقشتنا، ولكن أرجوكم ألَّا تنكروا ما كنتم قد اعترفتم به بالفعل عندما تكونون في حيرة مما تجيبون به."

قال تريفون: "سنحاول أن نعمل ما تريده."

قلت: "والآن لكي ننتهي مِن هذه المناقشة على وجه السرعة، أريد أن أوجِّه لكم بعض أسئلة أخرى."

قال: "تفضل واسأل."

قلت: "هل يوجد في رأيكم إله آخر يستحق العبادة ويُدعى في الأسفار المقدسة ربًّا وإلهًا غير خالق العالم والمسيح الذي صار إنسانًا كما هو مثبَت في نصوص كتابية كثيرة؟"

قال تريفون: "كيف نعترف بمثل هذا القول في حين لم نتأكد

بعد من خلال مناقشتنا المطوَّلة ما إذا كان يوجد إله آخر غير الآب؟"

قلت: "لا بد من أن أسأل هذا السؤال لكي أعرف ما إذا كان لديكم رأي مختلف عما اعترفتم به بالفعل."

قال: "لا، ليس لدينا رأي مختلف."

قلت: "بما أنكم تعترفون بصحة هذه الأمور، وبما أن الكتاب يقول "وميلاده مَن يُخبِر به؟" (إش ٥٣: ٨) أ لا يجب أن توافقني على الفور أنه ليس من أصل بشري؟"

قال تريفون: "كيف إذن يقول الكتاب إنه من نسل داود سيتخذ الله لنفسه ابنًا ويثبِّت مملكته ويُجلسه على عرش مجده؟"

قلت: "يا تريفون، إذا كانت نبوءة إشعيا "هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا" لم تنطبق على بيت داود بل على بيت آخر من الأسباط الاثني عشر، فالمشكلة قد تكون صعبة ولكن بما أن النبوءة ذاتها تنطبق على بيت داود، فقد شرح إشعيا بدقة كيف يتحقق ما قاله الله في سر لداود. لعلكم، يا أصدقائي، لا تدركون أن كثيرًا مِن الأقوال التي عبَّر عنها الكتاب مجازيًّا أو بشكل رمزي قد شرحها الأنبياء الذين جاءوا بعد الذين نطقوا بها."

قال تريفون: "لا شك في هذا."

قلت: "وإن أثبتُّ لكم حقيقة أن نبوءة إشعيا هذه تتحدث عن مسيحنا وليس عن حزقيا كما تدَّعون، هل تشكُّون في معلميكم الذين يتجاسرون على القول بأن ترجمة الأسفار المقدسة التي قام بها سبعون من شيوخكم في بلاط الملك بطليموس هي غير دقيقة في بعض الأحيان؟ لأنه عندما يظهر في الأسفار المقدسة نقض واضح لما يعتقدونه في غباء وكبرياء، يبادرون بالتأكيد على أن هذا الكلام لم يُكتَب هكذا في النص الأصلي. ويتآمرون على تحوير عبارات أخرى لتتواءم مع أعمال بشرية مُدَّعين أنها لا تشير إلى مسيحنا

الذين بهم روح نجس أو فسدت عقولهم بسبب تعاليم وعادات رديئة وقواعد شريرة أفقدتهم الشعور الطبيعي بالذنب. والمُلاحظ أن هؤلاء الأشخاص لا يريدون تحمُّل ما يُبتلَى به الآخرون. وبضمير خبيث ينتقدون الآخرين لأجل أشياء هم أنفسهم يفعلونها. ولذا فإنني أرى أن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح شرح بشكل مناسب للغاية مبدأ أن البر والتقوى يتلخصان في هاتين الوصيتين: "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ... وتحب قريبك كنفسك" (مت ٢٢: ٣٧ - ٣٩)، لأن مَن يحب الله بكل قلبه وكل فكره يكون عقله مكرَّسًا لله ولن يعبد آخر سواه بل يعبد المسيح الذي أرسله الرب الإله لأن هذه هي إرادة الله. والإنسان الذي يحب قريبه كنفسه سيتمنى له البركات ذاتها التي يتمناها لنفسه. والمرء لا يتمنى الشر لنفسه. وبالتالي فمَن يحب قريبه سيصلي ويعمل لكي ينال قريبه البركات ذاتها التي ينالها هو. ومَن هو قريب الإنسان إلا ذلك المخلوق الذي له عقل ومشاعر مثل ما له، أي الإنسان. إذن فإن البر يوجَّه نحو هدفين وهما الله والناس، لأن الكتاب يقول إن كل من يحب الرب الإله بكل قلبه وبكل قدرته ويحب قريبه كنفسه لا بد أن يكون بارًّا. أما أنتم اليهود فلم تُبرهِنوا بأعمالكم على وجود أية صداقة أو محبة نحو الله أو الأنبياء أو نحو بعضكم البعض بل دائمًا ما تظهرون أنفسكم على أنكم عبَدَة أوثان وقتلة الأبرار، حتى إنكم رفعتم أيديكم على المسيح ذاته. بل إنكم تستمرون في طريق الشر حتى يومنا هذا لاعنين مَن يُثبِت لكم أن الذي صلبتموه هو المسيح. والأكثر مِن هذا أنكم تدَّعون أنه صُلِب كعدو ملعون من الله، مما يدل على عدم سلامة قواكم العقلية. ومع أن لديكم الأساس لتفهموا أن هذا الإنسان هو المسيح مِن خلال العلامات التي أعطاها موسى، لكنكم لا تريدون أن تفهموا، والأكثر مِن هذا

إبراهيم ولا إسحق ولا يعقوب ولا أي إنسان آخر رأى الآب غير الموصوف و رب كل الخليقة و رب المسيح ذاته[٢١٠]، ولكنهم قد رأوا ابن الله، الملاك الذي خدم إرادة الآب ومشيئته، هذا الذي بإرادته وُلِدَ مِن عذراء وهو الذي ظهر في شكل نار عندما كلَّم موسى مِن العليقة وما لم نفسِّر الأسفار المقدسة بهذه الطريقة فسنضطر إلى القول بأن الآب و رب الكل لم يكن في السماء عندما حدث ما وصفه موسى "فأمطر الرب على سدوم نارًا وكبريتًا مِن عند الرب من السماء" (تك ١٩: ٢٤) وأيضًا عندما قيل بفم داود: "ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية فيدخل ملك المجد"[٢١١] وأيضًا في قوله: "قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك[٢١٢]." "

الفصل المئة والثامن والعشرون

"لقد حرصت أن أثبت لكم بإسهاب أن المسيح هو الرب وهو الله؛ إذ إنه ابن الله وإنه في القديم ظهر بقوته كإنسان وكملاك وفي مجد النار كما في العليقة، وكان حاضرًا لتنفيذ الحكم ضد سدوم. وبعد أن أعدت على مسامعهم كل الذي ذكرته من سفر الخروج عن الرؤيا في العليقة وتسمية ابن نون "يسوع" [يشوع] أكملت قائلًا: لا تظنوا أيها السادة أنني أردد الكلام باطلًا؛ إذ أكرر ما أقول. فأنا أفعل هذا لأنني أعلم أن البعض منكم بصدد القول بأن القوة التي أرسلها أبو الكل وظهرت لموسى وإبراهيم ويعقوب دُعيَت ملاكًا لأنه أُرسِل إلى بشر - وبهذه القوة ينقل الآب رسائله إلى البشر - كما دُعيَ مجدًا لأنه يظهر أحيانًا في رؤى لا يمكن احتمالها، ودُعيَ إنسانًا

---

[٢١٠] ينبغي أن تُفهَم هذه العبارة في سياق سر الإخلاء والتدبير الإلهي لخلاصنا مثلها مثل قول المسيح على الصليب "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" (مت ٢٦: ٤٧).

[٢١١] مز ٢٣: ٧ (في البيروتية مز ٢٤: ٧).

[٢١٢] مز ١٠٩: ١ (في البيروتية مز ١١٠: ١).

لأنه يظهر في هيئات كهذه بحسب مشيئة الآب، ودُعيَ الكلمة لأنه يعرِّف الناس كلام الآب. ولكن البعض يعلِّمون[٢١٣] بأن هذه القوة لا تنقسم أو تنفصل عن الآب، كما أن نور الشمس على الأرض لا ينقسم أو ينفصل عن الشمس في السماء؛ فعندما تغرب الشمس يختفي نورها من على الأرض. ومن هنا يدَّعون أن الآب يرسل قوته متى أراد ويرجعها ثانية متى أراد، ويُعلِّمون بأن الآب صنع الملائكة بهذه الطريقة، إلا أنه ثبت أن الملائكة يبقون على الدوام [ملائكة] ولا يعودون ثانية إلى الشكل الذي خُلِقوا منه. ولقد أوضحت بالتفصيل أن هذه القوة التي يُسمِّيها الأنبياء "اللّه" و "ملاك" لا يُعتبر مُختلفًا فقط من حيث الاسم مثل نور الشمس بل أيضًا يتمايز مِن حيث العدد[٢١٤] كما سبق أن شرحت بإيجاز أن هذه القوة هو مَن وُلِدَ مِن الآب بقدرته وإرادته، لكن ليس عن طريق الانفصال، وليس كأن جوهر الآب انقسم لأن الأشياء إذا انقسمت لا تعود كما كانت قبل الانقسام. ولشرح هذه النقطة ذكرتُ مثال النار التي تشتعل مِن نار أخرى، علمًا بأن النيران المشتعلة تتميز عن النار الأصلية التي مع أنها تشعل نيرانًا أخرى إلا أنها تظل هي النار نفسها بلا نقصان."

الفصل المئة والتاسع والعشرون

"ولإثبات هذه النقطة سأعيد لكم الآن بعض نصوص من الكتاب المقدس كنت قد ذكرتها قبلًا. عندما يقول الكتاب المقدس: "أمطر الرب... نارًا من عند الرب من السماء" (تك ١٩: ٢٤) فهو يشير إلى أنهما إثنان في العدد، أحدهما على الأرض وقد جاء

---

[٢١٣] المقصود هنا هم بعض اليهود مثل فيلو اليهودي (Philo Judaeus) أو بعض المسيحيين مثل هرطقة المونارکيين (Monarchians) ومن أمثلتهم نيتوس (Noetus) وبراكسياس (Praxeas) وبولس الساموساطي (Paul of Samosata)

[٢١٤] في علاقته مع أقنومي الآب والروح القدس

ليشهد على صراخ سدوم، والآخر في السماء الذي هو رب الرب الذي على الأرض وكأبيه وإلهه فهو علَّة وجوده[٢١٥] وقوته وربوبيته وإلوهيته. وعندما يذكر الكتاب أن الله قال في البدء: "هوذا آدم قد صار كواحد منا" (تك ٣: ٢٢) وتعبير "كواحد منا" يدل على وجود عدد [أكثر من واحد] ولا يمكن أن تفسر هذه العبارة بطريقة مجازية كما يحاول السوفسطائيون أن يفعلوا، فهم لا يقدرون أن يعرفوا الحق ولا أن يتكلموا به. ويقول سفر الأمثال "وإن عرَّفتكم ما يحدث يومًا فيوم فسأذكر ما كان منذ البدء الرب قناني أول طُرُقِه لأجل أعماله. قبل الدهر أسَّسني، في البدء قبل أن يخلق الأرض وقبل أن يخلق الهاوية، قبل أن توجَد ينابيع الغمر وقبل أن تُثبَّت الجبال، وقبل أن تكون كل التلال وَلَدَني" (أم ٨: ٢١ - ٢٥)."

وعندما كررت هذا الكلام أضفت: "أيها السادة، إذا كنتم قد تابعتم كلامي بدقة فسترون أن الكتاب يعلن أن الابن مولود من الآب قبل كل الخليقة، وستعترفون جميعًا أن الابن المولود يتمايز عدديًّا عن الآب الذي ولده[٢١٦]."

الفصل المئة والثلاثون

وبعد موافقتهم على ما قلت، واصلت كلامي قائلًا: "اسمحوا لي الآن أن أذكر بعض نصوص الكتاب المقدس التي لم أذكرها من قبل، وهي نصوص كتبها موسى الخادم الأمين بشكل رمزي، وهي كما يلي: "هللي له أيتها السماوات وليسجد له كل ملائكة الله

---

[٢١٥] أي أن الآب هو علة وجود أقنوم الابن؛ إذ هو مولود منه حسب الطبيعة. وقد أدى هذا الشرح إلى التمادي في القول بأن الآب هو علة ربوبية والوهية الابن. وهذا بالضبط هو ما جعل ق. أثناسيوس يتجنب استخدام تعبير "العلة" ويفضل عنه تعبير "الولادة" فالله آب ليس لأنه علة وجود الابن ولكن لأنه هو أبو الابن.

[٢١٦] التركيز هنا على التمايز بين الأقانيم الثلاثة من حيث العدد وليس من حيث الجوهر؛ إذ هم جوهر واحد.